اضطراب الرؤية النقدية في مقدمة ابن قتيبة

الدكتور
جليل رشيد فالح
كلية الآداب — جامعة الموصل

توطئة

ترك لنا ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦هـ) مجموعة من المباحث والكتب تدل «على تعدد مناحي اهتمامه ، فبعضها يمثل العناية بغريب اللغة وبعضها يتناول النحو ، كما ان صنفاً ثالثاً منها مستلهم من عصبية لأصحاب الحديث ومن عدائه للمعتزلة ، ويمثل الشعر اتجاهاً رابعاً من تلك الميادين» (١) وكان (الشعر والشعراء) واحداً من ابرز كتبه التي وصلت الينا .

يقع الكتاب في قسمين : الاول منهما جاء على صورة (مقدمة) جعل موضوعها الأساس هو الشعر ، وقد عرف عند الباحثين بمقدمة ابن قتيبة ، اذ لخص فيه آراءه ونظراته النقدية في الشعر والشعراء . فكان بذلك تمهيداً للجزء الثاني وموضوعه الشعراء .

قال ابن قتيبة : «هذا كتاب انمته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وازمانهم وأقدارهم واحوالهم في اشعارهم وقبائلهم واسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب او الكنية منهم ، وعما يستحسن من اخبار الرجل ويستجاد في شعره ، وما اخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في الفاظهم او معانيهم ، وما سبق اليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون ، واخبرت فيه عن اقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الاول» (٢) .

وقد حمل الجزء الأول بآراء نقدية ترجحت بين الدقة والبراعة والاصابة وبين اضطراب او تعارض لا يخطىء قارىء المقدمة في الاحساس به وتلمس مواطنه وتتبع وجوهه .

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب . احسان عباس — ١٠٤
(٢) الشعر والشعراء : ٦٥

وهذا البحث اذ ينعقد على تحري هذه الوجوه وتلك المواطن فانما يحاول به الباحث ان يدلي بدلوه مع الباحثين في ما اشاروا من اشارات سريعة إلى بعض وجوه الاضطراب وتصور الرؤية النقدية مع محاولة لالتماس العذر والسعي إلى التوفيق بين تلك الوجوه في عنت ومشقة .

ومن ثمة فإن البحث يأتي — مـــن خلال رؤية اجتهادية تحتمل الخطأ والصواب — لكي يشخص ما بدا للباحث من وجوه القصور او الاضطراب او التناقض .

١ — وجوه الاضطراب والتناقض في موضوع «أقسام الشعر»

حين تدبر ابن قتيبة الشعر محاولاً ان يضع له معالم يهتدى بها في التعرف إلى خصائصه وعناصره لم يضع له تعريفاً محدداً على نحو ما فعل قدامة بن جعفر من بعده، «كان عالماً ولكنّه لم يكن العالم الذي يستبد به المنطق ، وكان دارساً للشعر ، عارفاً به ، واقعاً على معانيه وقصائده ونماذجه» (٣) .

فمضى بعد تدبره للشعر إلى تقسيمه إلى اربعة اضرب : اذ «ينطلق في ذلك — بعد ان يتدبر الشعر ، يعني بعد ان ينظر فيه ويطيل النظر — مـــن عنصرين ومن قيمتين : عنصرين بهما يقوم الشعر ، وقيمتين هما اللتان تحكمانه .

العنصران اللذان لا يقوم الشعر الا بهما هما : اللفظ والمعنى .

والقيمتان اللتان تحكمانه هما الجودة والرداءة، ومن ضرب هذه الحدود بعضهما ببعض كانت هذه الأضرب الاربعة..» (٤) .

وينبغي — في اطار هذا التقسيم — الا نغفل من حسابنا خصائص الشخصية العلمية لابن قتيبة وطبيعة تذوقها للشعر ووظيفته ومكوناته ، فذوقه «ذوق

---

(٣) نظرة مبكرة للشعر في النقد القديم — د. شكري فيصل — مجلة المعرفة السورية . العدد ١٥١ — ايلول — ١٩٧٤ — ص : ١٤

(٤) المقالة نفسها .

العالم الفقيه السني الذي يستمسك بمآثر الاخلاق ويتعلق بالقيم الدينية،والنماذج الفاضلة ، وليست هذه كل مقاييس النقد والأدب» (٥) .

واذ يعمد ابن قتيبة إلى هذا التقسيم الرباعي على هذا النحو (٦) .

١ – ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه .

٢ – وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا أفت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .

٣ – وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه .

٤ – وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه .

فانما يورد ذلك من غير ان يحدد المعيار النقدي الذي من شأنه ان يوضح ابعاد هذا التقسيم . او ان يحدد به – في الأقل – مدلول مفردتي اللفظ والمعنى فضلاً عن مدلول النعوت التي اوردها لكل من تينك المفردتين .

ولذلك لا مناص لنا من ان نتساءل مع الدكتور شكري فيصل – اذ يقول : «ما الذي يقصده ابن قتيبة من اللفظ ؟ ما الذي يريده من المعنى ؟ كيف نفهم الجودة ، وكيف نفهم الرداءة ؟

ما حدود هذه الحدود ؟

هل اللفظ هو اللفظ المفرد وحده ؟ هل هو مجموعة من الألفاظ ؟ اي التراكيب'؟ هل المعنى هو الفكرة ام هوالفِكرة:متلبسة بها بشكل ما من اشكال الأداء ؟

واين الصورة ؟ اهي حصيلة هذا المزج بين اللفظ والمعنى ؟ وهل هنالك معان بعينها ارادها ابن‌قتيبة ؟ ومتى يكون اللفظ جيداً ، ومتى يكون رديئاً ؟ متى يكون المعنى جيداً ومتى يكون رديئاً .

ذلك كله لا يقف عنده ابن قتيبة ولا يتحدث عنه» (٧) .

---

(٥) من قضايا التراث العربي – الشعر والشاعر –: ص : ١٢

(٦) يرجع الى المقدمة للوقوف على تفاصيل هذه الا ضرب وأمثلتها .

(٧) نظرية مبكرة للشعر في النقد العربي القديم ؛ ص : ١٥

ولا شك ان الدارس لا يسعه ان يقف على الأبعاد الواضحة لرؤية الناقد ما لم يعمد إلى تحديد معالم منهجه النقدي أو توضيح ابعاد رؤيته ولو بتعليل يسير ، اذ يفضي ذلك إلى اعتداد هذا النقد محمولا على التأثرية المحض مما يحمل الدارس على ان يحكم على هذا اللون من النقد بالاضطراب وقصور الأداة والرؤية .

ومما يغري الدارس او القارىء بهذا الحكم ان محور هذا التقسيم نماذج شعرية لا سبيل إلى الاتفاق مع ابن قتيبة على صلاحها نماذج دقيقة دالة على كل ضرب من ضروب الشعر الأربعة ولكل نعت من نعوت اللفظ والمعنى على نحو ما اورد .

وقد نتفق مع ابن قتيبة بوجه من الوجوه ان بيتي الحزين الكناني : (٨)

في كفه خيزران ريحه عبق من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

وقد اوردهما شاهداً لما حسن لفظه وجاد معناه — هما مما يعتد من جيد الشعر من عامة بنائه مفردات وجملاً وصوراً ودلالة ، وليس هذا هو موضع المؤاخذة ، بل الذي يمكن ان يؤاخذ عليه ابن قتيبة هو تعليقه الذي لم يراع فيه ما اصطلح عليه من التقسيم الثنائي للفظ والمعنى ، اذ قال :

«لم يقل في الهيبة شيء احسن منه» (٩) .

مشيراً إلى ما ينطوي عليه البيتان من معنى يستعظمه ويجله ، وهو ما عليه الممدوح من الهيبة التي تملأ اقطار النفس بمشاعر الاجلال والاكبار ، ولئن كان هذا مما جاد معناه به ، فبأي شيء جاد لفظ هذين البيتين ؟

وكأن ابن قتيبة يتصور ان يعثر الشاعر على المعنى اولا في ذهنه . ويضع يده عليه لئلا يفلت منه . ثم يفتش بعد ذلك في معاجم اللغة عن لفظ يروقه ،

(٨) الشعر والشعراء : ص : ٧١
(٩) الشعر والشعراء : ص : ٧١

لهذا المعنى ، فان وجد اللفظ غير رائق فتش عن بديل رائق ، وهكذا عمل الشعر .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان مااورد من شواهد على الضرب الاول (حسن اللفظ وجودة المعنى) يتفاوت في مستوياته الفنية . ولعله لايخفي ان بيت ابي ذؤيب(١٠) .

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

ليس من افضل ماقاله ابو ذؤيب في عينيته المشهورة فهو ليس اكثر من حكمة لايتوافر لها من عوامل التأثير الفعال وبسطة الدلالة الشيء الكثير ، بل يسوغ لنا القول انه اقرب الى البداهة التي يلم بها كل انسان مهما يكن مستواه الفكري والثقافي ، ولعله لايبعد كثيراً في صياغته ودلالته ومضامينه عن بيت لبيد الذي ساقه شاهداً لما جاد معناه وقصرت الفاظه ، وهو قوله : (١١)

ماعاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولايغيب عنا ان ابن قتيبة اعتمد على ما حدثه الرياشي عن الاصمعي بقوله : هذا ابدع بيت قاله العرب (١٢) ويعني بيت ابي ذؤيب .

ترى ما معيار الابداع وما مواطنه في هذا البيت ؟ هذا ما سكت عنه الأصمعي كما سكت عنه ابن قتيبة ، والبيت — كما ذكرنا — لا يعدو ان يكون حكمة لا حظ لها من العمق والتجلي ، ان لم تكن اقرب إلى معنى بديهي .

وبيت حميد بن ثور :

ارى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما

قال فيه ابن قتيبة — معجباً مزهواً : «ولم يقل في الكبر شيء احسن منه» (١٣) ، وهو ليس من خير ما قاله حميد ، فأي صورة فنية احتضنت

(١٠) الشعر والشعراء : ص : ٧١
(١١) الشعر والشعراء : ص : ٧٤
(١٢) الشعر والشعراء : ص : ٧١
(١٣) الشعر والشعراء : ص : ٧١

المعنى وجسدت ابعاده ودلالاته ؟ انه لم يزد على ان شكا من ضعف بصره ، وهل يعتد ذلك افضل ما قيل في تصوير الشيخوخة والكبر .

وإذا قدر لنا ان نعجب مع ابن قتيبة بقول النابغة (١٤)

كليني لهم ياأميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب

شاهداً على حسن الابتداء فان المبالغة التي اخذ بها نفسه في نفي ان يكون احد من المتقدمين قد ابتدأ بأحسن منه او اغرب قد اخرجت المعالجة من اطارها النقدي — سواء على صعيد الناقد باعتباره فقيهاً مفكراً ، او على صعيد النقد محتاجا إلى معيار للحكم ، واطلاق القول على هذه الشاكلة لا يتصل بسبب إلى النقد ولا إلى الناقد ، وان كان البيت في اطار الرؤية النقدية التأثرية او المعللة من الابيات التي جاد معناها وحسن لفظها.

وفي نقد ابن قتيبة للأبيات الثلاثة المعروفة (١٥) .

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

اظهر شديد اعجابه بالفاظها فهي «أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع» (١٦) اما المعاني فقد هوّن من شأنها (١٧) .

ويرى ابن قتيبة ان «هذا الصنف في الشعر كثير» (١٨)

ولا يملك الباحث وهو يقف ازاء هذا التعسف البالغ بحق هذه الأبيات التي قدمت لنا صور وجيزة مكثفة لرفقة سفر بين اثنين جمعهما الطريق ، بعد الفراغ من مناسك الحج اذ انقطعت وشائجهما بالعالم الخارجي ، فدخلا في عالم من الوجد الصوفي وخلوة صفاء تذهل عن كل شؤون الحياة العادية.

(١٤) الشعر والشعراء : ص : ٧٢
(١٥) الشعر والشعراء : ص : ٧٢
(١٦) الشعر والشعراء : ص : ٧٢
(١٧) الشعر والشعراء : ص : ٧٣
(١٨) الشعر والشعراء : ص : ٧٣

ترى اي معنى يريد ابن قتيبة ان يجري في تضاعيف هذه الأبيات التي قالت كل شيء في اوجز عبارة ؟

اكان مطلوباً ان يتحدث رفيقا السفر في مشكلات العالم الخارجي ويدخلا في حوار فكري او يستعيدا من لقياه عند اداء المناسك حتى يكون ذلك كله مدعاة لاعجاب ابن قتيبة في معاني الابيات .

ثم ان قوله : إن هذا الصنف من الشعر كثير إقرار منه بأن لغة الشعر تختزل المعاني والأفكار وتوحي بوجد الانسان ومشاعره في خضم الاحداث وهي ليست بها حاجة إلى كثير من البسط والتفصيل . وتجري الابيات التالية للأبيات الثلاثة السابقة في هذا المضمار ، وهي : قول المعلوط (١٩) :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيّضن من عبراتهن وقلن لي : ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وقول جرير (٢٠) :

يا اخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل لوم العذّل
لو كنت اعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

وقوله ايضاً (٢١) :

بان الخليط ولو طووعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل اقرانا
ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهنّ اضعف خلق الله إنسانا

حيث يختزل الشاعران مشاعرهما في عبارات موحية دالة لا تحتمل البوح عن كل ما يمكن ان يقال وما لا يمكن ان يقال ، واجود الشعر ما كان لمحة دالة .

---

(١٩) الشعر والشعراء : ص : ٧٣
(٢٠) الشعر والشعراء : ص : ٧٣
(٢١) الشعر والشعراء : ص : ٧٤

ويعلل احد الباحثين هذا المذهب بأن ابن قتيبة «انحدر اليه من المعتزلة على خلافه المذهبي لهم فهمهم للمعنى في الشعر فصادف قبولاً في نفسه وهو الفقيه المحدث الذي يريد المعنى الواضح الدال على حكمة او قول حسن . اي ان يكون من معاني الفعل .... فلقد كان ابن قتيبة يبحث عن المعنى النثري في الشعر فلم يستطع ان يتذوق المعنى الشعري في الأبيات التي عدّها من الضرب الثاني ..» (٢٢) .

واذ يورد لنا من امثلة الضرب الثالث (ما جاد معناه وقصرت الفاظه) قول لبيد (٢٣) :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

فانه يحكم عليه بجودة المعنى والسبك وقلة الماء والرونق ، وهي ما يتصل بالجانب اللفظي ، ولعل اللفظ عنده «يعني الصورة الشعرية او المعنى الشعري المقابل للمعنى العقلي المنطقي» (٢٤)

وهنا لابد من التساؤل : لماذا اعتد البيت مما قصرت الفاظه ؟

يقول الاستاذ سعيد عدنان في الاجابة عن هذا التساؤل «ان الناقد يريد ان يؤدي الشاعر معناه الجيد هذا بشيء من التزيين كالاستعارة والمجاز وما اشبه . فالألفاظ عنده لا تعني اصوات الحروف ، وانما تعني النسيج والتركيب او ما يمكن أن نسميه معنى شعرياً» (٢٥) .

وأقول تعقيباً على هذا التعليل : لو كان لابن قتيبة اعتداد بهذه العناصر الفنية وضرورة توافرها في العمل الابداعي فأي عناصر فنية تلمسها في قول ابي ذؤيب (٢٦) .

---

(٢٢) الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي : ص : ٥٠
(٢٣) الشعر والشعراء : ص : ٧٤
(٢٤) الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي : ص : ٥٠
(٢٥) المرجع نفسه : ص : ٥١
(٢٦) الشعر والشعراء : ص : ٧١

والنفس راغبة اذا رغبتهـــا واذا تـــرد إلى قليـــل تقنـــع

حتى استجاد الفاظه كما استجاد معانيه ؟

وفي هذا يذهب الدكتور محمد زكي العشماوي إلى «أن ابن قتيبة قد علق جودة الشعر على مضمونه مستقلاً عن الصياغة والتصوير ، ومن انه جعل للألفاظ دلالات مفردة ومستقلة ، ولم يفطن إلى ان الالفاظ في الشعر ليست انغاماً او مخارج او مقاطع فقط ، وانما هي تتداخل وتتجاوز باشعاعاتها حدودها العادية وتكتسب كل كلمة من التي تليها معاني جديدة» (٢٧).

ثم يبدو لنا الاضطراب واضحاً في معالجته لقول النابغة للنعمان (٢٨).

خطاطيف حجن في حبال متينة تمدّ بهـا أيـد اليـك نـوازع

فقد ساق رأي العلماء في استجادة معناه ، ثم قال :

«ولست ارى الفاظه جياداً ولا مبينة لمعناه» (٢٩) موحياً الينا بأنه لا يرى بأساً في المعنى بل العيب في الالفاظ ، ولكنه يفجأنا بقوله :

«وعلى اني ايضاً لست ارى المعنى جيداً» ، فمن وجوه الاضطراب انه جاء بهذا البيت شاهداً للضرب الثالث (جودة المعنى وقصور الألفاظ) ومن حقه ان يلتزم بمنهجه في تحديد موقفه من كل من اللفظ والمعنى ، ولكن الرجل استهان بألفاظ البيت غير معتد اياها من الجياد وقاصرة عن اداء المعنى .

ثم يمضي لينثر البيت نثراً قتل في تضاعيفه كل عناصر الابداع الفني ، ثم صرح بأن المعنى كذلك خلو من الجودة (٣٠) .

ترى ماذا بقي للبيت من وجود شرعي او فني ؟ ولماذا جاء به في سياق الاستشهاد بما جاد معناه وقصرت الفاظه ؟

---

(٢٧) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : ص : ٢٨٢ — .

(٢٨) الشعر والشعراء : ص : ٧٤

(٢٩) الشعر والشعراء : ص : ٧٤

(٣٠) الشعر والشعراء : ص : ٧٤

وفي تعليل هذا الاضطراب يذهب الدكتور محمد مندور إلى ان «تفكيره المجرد البعيد عن ادراك حقيقة الشعر وفهم طبيعته هو الذي قاده إلى تلك النظرة التي تبدو عادلة علمية ولكنها لا تستند إلى نظرة متجانسة في طبيعة الشعر»(٣١).

واذ اورد بيت الفرزدق (٣٢) :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

لم يذكر اية علة في الحاقه بما جاد معناه وقصرت الفاظه ، علماً ان نسيج البيت يقوم على ثلاث صور بلاغية زاوج بينها الفرزدق مزاوجة فنية بارعة ، اذ قدم الشيب في صورة استعارة مكنية اظهر خلالها قدرة الشيب على النهوض والعلو والبسط .

ثم كانت الصورة الاستعارية هي الطرف المعادل في عملية تشبيه مركب ذي دلالة حية وتأثير عميق لصورة فنية تتجلى في انبثاق النهار من خلال ظلمة الليل . ثم انه لا يترك صورة (المشبه به) من غير ان يبث الحياة والحيوية والحركة في ارجائها ، اذ جعل الاستعارة المكنية هي عنصر هذه الحياة والحركة والحيوية متمثلة في الفعل (يصيح) وهو لازمة استعارية واضحة الدلالة على الانبثاق والظهور ، وبذلك قدم لنا الصورة المتكافئة العناصر في ادق نسيج واحكم بناء .

ترى ما الذي دعا ابن قتيبة ان لا يحس بكل هذا الماء الذي ينساب في تضاعيف البيت ، وبكل هذا الرونق الذي يسم البيت بميسم الجمال والبراعة . وفي امثلته للضرب الرابع (ما تأخر معناه وتأخر لفظه) لم يتوخ الدقة في الاختيار ، اذ تفاوتت امثلته بين جيد المعنى وجيد اللفظ كما في النصين اللذين اوردهما للأعشى وهما : (٣٣).

---

(٣١) النقد المنهجي عند العرب : ص : ٢٦

(٣٢) الشعر والشعراء : ص :٧٤

(٣٣) الشعر والشعراء :ص :٧٥

الأول ما قاله في امرأة :

وفوهـــاً كأقاحـــيّ غـــذاه دائـــم الهطـــل
كما شيب بـراح بـارد مـــن عســـل النحـــل

والثاني هو :

إن محـــلا وان مرتحـــلا وان في السفر ما مضـى مهـلا
استأثـــر الله بالـوفاء وبالحمـــد وولى الملامـــة الرجـــلا
والارض حمـــالة لمـــا حمـــل الله ومـــا ان تـــرد ما فعلا
يومـــاً تـــراها كشـــبه اردیـــة العصب ويومـا اديمـها نغـــلا

ولو توخى الدقة في تطبيق معاييره من اطار التقسيم الرباعي لأقسام الشعر لكان اولى به ان يورد البيتين الاولين في الضرب الثاني الذي جاء لفظه وقصرت معانيه ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان المعنى عنده هو المعنى العقلي او الحكمة و الذي يتحدث عن تجربة او امر واقع في الحياة (٣٤).

فالبيتان بنيا على اساس فني قوامه (التشبيه) . والفاظهما منتقاة بحس فنـي جميل اذ ليس بينها ما هو غريب او ركيك .

اما الانموذج الثاني فكان بوسعه ان يجعله مع الضرب الثالث ، فهي تنطوي على معان وافكار من شأنها ان تستهوي ابن قتيبة في اطار رؤيته الخاصة وفي ضوء ما اورد من نماذج مثيلات يمكن القياس عليها .

قال الدكتور فتحي احمد عامر في تعليقه على ما ذهب اليه ابن قتيبـة مـن رأي في ابيات الاعشى :

«وكيف يحق لابن قتيبة العالم الرشيد ان يحكم على هـذا القـول .... بأنـه تأخر معناه وتأخر لفظه ؟ وهل استنثار الله بالوفاء وبالحمد مضمون لا يروق ولا يسمو ؟ او ليست الارض مستجيبة هاشة باشة بين يدي امر الله عز وجل، فهي لا تعصي له امراً ولا ترد فعلا في حالتيها ، من ظهورها في احسن زينة من الزرع والاعشوشاب او ظهورها جرداء قد اسود اديمها .

(٣٤) تأريخ النقد الادبي عند العرب : طه احمد ابراهيم : ص : ١٣٨

ثم اليست الكلمات مستقرة في سياقها متآخية في جوارها تبرز المضامين التي تشتمل عليها ابرازاً لا تكلف فيه ولا ثمول ولا غضاضة» (٣٥) .

ثم ان ابن قتيبة في تعليله لتأخر المعنى وتأخر اللفظ لم يزد على ان ذكر أن هذا الشعر منحول وان ليس فيه ما يستحسن الا بيتاً واحداً هو (٣٦) .

يا خير من يركب المطـــي ولا يشرب كأساً يكف من بخـلا

ترى لو كان ما اورده منحولاً فما الذي دعاه إلى الاستشهاد به ، وفي الشواهد والأمثلة بين يديه سعة وغناء ، الم يكن الأولى ان يعرض عنه ويستبدل به غيره ؟

ثم ما العلاقة بين ان يكون الشعر منحولاً ورديء المعنى واللفظ في الوقـت ذاته ؟ الا يحتمل ان يكون منحولاً وعليه من مياســم الجـودة ما عليـه ؟ اليس هذا ايغالاً في اضطراب الرؤية النقدية في الحكم على النصوص ؟

واذا استحسن البيت الذي اورده — من بعد — فأي شيء فيه استحسن ؟ أكل ما فيه من لطف المعنى ان هذا الممدوح ليس ببخيل لأنه لا يشرب بكف من بخل على نحو ما يرى ابن قتيبة (٣٧) ؟

لقد جنى ابن قتيبة على هذا البيت حين نثره نثراً القى به على الصورة الفنية التي رسمها الشاعر غلالة معتمة .

ان البيت — في حقيقة بنائه الفني — صورة كنائية بارعة عن اباء النفس في التعامل مع البخيل بوصفه شخصاً مسترذلاً لا يقام له وزن .

ونحن وان كنا نتفق مع ابن قتيبة في ايراده ابيات الخليل مثالاً لما تأخر معناه وتأخر لفظه ، لأنه ليس شعراً بل هو صناعة ربما كان صاحبها غير معتد اياها شعراً .

---

(٣٥) من قضايا التراث العربي . الشعر والشاعر : ص : ١٥ — ١٦

(٣٦) الشعر والشعراء : ص : ٧٥

(٣٧) الشعر والشعراء : ص : ٧٥

قال الخليل (٣٨) :

ان الخليـــط تصـــدع فطـره بدائـــك أوقـــع
لولا جـــوار حســـان حـــور المـدامـع اربـع
ام البنيـــن واسمـــا ء والـــربـــاب وبـوزع
لقلـت للـراحـل ارحـل اذا بـــدا لـك اودع

وابن قتيبة ينسب هذا الشعر إلى التكلف ورداءة الصنعة لانه من شعر العلماء ولا يأتى عن اسماح وسهولة (٣٩) .

الا اننا لانوافقه على ان يجعل هذه الأبيات تجري مع ابيـات الاعشى — صناجة العرب — في مجرى واحد من تأخر اللفظ وتأخر المعنى .

ترى هل كان موقفه من الأعشى مبنياً على فكرة رفضه التفاضل الزمني متخذاً من الاعشى — وهو المتقدم زمناً — دليلا على ان الشعر المتأخـر او الرديء يقع عند المتقدمين كما يقع عند المتأخرين ... ربما كان هذا هـو الدافع وراء صنيعه . وهو ما نظنه ظناً لايبلغ حد الجزم واليقين .

واذا صدق هذا الظن فان معيار اسقاط العامل الزمني لايستقيم له فـي موقفه من الاعشى .ذلك ان اسقاط هذا العامل يعني — في ما يرى الدكتور شكري فيصل —« تجاوز القيم الزمانية الى التأكيد على القيم الفنية ، من تجاوز العصبية الى الأخذ بعين العدل . من التأبي على مفهوم خاطـيء للزمن لاحدود له الى التأكيد على التجويد الفني » (٤٠)

فالناقد لو حقق هذا التجاوز لوجدنا في احكامه دقة واصابة قائمتيـن على وضوح الرؤية والتوقي من التداخل والاضطراب .

ولكن تجاوزه لم يحقق له العدالة في الحكم ولا الوقوف عند العناصر الفنية التي هي معيار التفاضل ...

---

(٣٨) الشعر والشعراء : ص : ٧٦
(٣٩) الشعر والشعراء : ص : ٧٦
(٤٠) نظرة مبكرة للشعر في النقد العربي القديم : ص : ١٩

ولاادري ماالذي دعاه ايضاً الى ان يجعل من ضرب المتأخر لفظاً والمتأخر معنى ابيات ابي الأسد واسمه نباتة بن عبدالله الحماني من شعراء الدولة العباسية في مدح الفيض بن صالح وزير المهدي (٤١) .

ولائمة لامتك يافيض في الندى
فقلت لها : لن يقدح اللوم في البحر

ارادت لتثني الفيض من عادة الندى
ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة
مواقع ماء المزن في البلد القفر

كأن وفود الفيض حين تحملوا
الى الفيضَ وافوا عنده ليلة القدر

وكذلك قول الشاعر نفسه في هجاء احمد بن دؤاد «٤٢» .

ليتك آذنتني بواحدة تكون لي منك سائر الابد
تخلف الاتبرني أبداً فأن فيها برداً على كبدي
ان كان رزقي اليك فارم به في ناظري حية على رصد

فمعاني المدح والهجاء معروفة في تشخيص المحاسن والمعايب في الانسان ترى اليس ابن قتيبة يبحث عن المعنى (الفكرة) كما يبحث عن الرونق والماء فأي شيء لم يستحسن من أفكار هذه النماذج. واي خلل في نسيجها قد رأى؟

ترى هل نقض ابن قتيبة معياره في اسقاط العامل الزمني في التفاضل :

---

(٤١) الشعر والشعراء :ص :٧٧ — ٧٨— ينظر الهامش ايضاً
(٤٢) الشعر والشعراء : ص : ٨٧ — ينظر الهامش ايضاً

فجاء ليقول عن الشاعر ابي الاسد انه من المتأخرين الأخفياء ، ليت الرجل وضع اصابعه على مواطن الخلل في معاني الابيات والفاظها كما فعل مع بيتي المرقش (٤٣) :

هل بالديار ان تجيب صمم

لو أن حيا ناطقاً كلم

يأبى الشباب الاقسورين ولا

تغبط اخاك ان يقال حكم

اذ حدد فيهما مواطن الخلل فقال :

«وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولاحسن الروي ولامتخير اللفظ ولالطيف المعنى (٤٤)».

اما الشاعر (ابو الاسد) الذي نال من حيف ابي قتيبة فقد قدم لنا لوحة الممدوح حافلة بالمآثر الطيبة .ورسم ملامح الرجل الكريم في صور فنية بارعة تضافرت وشائجها وتلاقت خطوطها في تأليف جميل ووحدة عضوية تأبى على الاضطراب والتخلخل .

وكذلك الأمر في لوحة الهجاء العفيف الذي لم يفحش فيه ، وهذا مما يحقق تصور ابن قتيبة في طلبه للشعر الذي جاد معناه — في اقل تقدير — واذا كنا نعتقد مع الباحثين ان ابن قتيبة « لم يتناول النصوص ولاالشعر بنقد فني تطبيقي » (٤٥) .

وانه لم يستطع ان يدرك جانباً مهماً من مهمة الأدب من العناصر التي تكون مضمونة ، ذلك الجانب هو الصورة الأدبية او التصور الأدبي (٤٦) .

---

(٤٣) الشعر والشعراء : ص : ٧٨ —
(٤٤) الشعر والشعراء : ص : ٧٩
(٤٥) النقد المنهجي عند العرب : ص :٢٢
(٤٦) مفاهيم في الأدب والنقد — ص : ٨٧

فاننا لانعفيه من مهمة ادراك المعاني والأفكار الواضحة في ابيات ابي الأسده، وهو الحريص على اقتناص أمرين حددهما الدكتور محمد مندور بالفكرة والمعنى الأخلاقي (٤٧) .

كل ذلك يفضي بنا الى القول : ان ابن قتيبة في دراسته للشعر في ضوء الأضرب الاربعة لم يتسم بالدقة والموضوعية في الحكم والاختيار . مماجعل رؤيته غير واضحة الأبعاد .

٢ – متأخر الشعراء ومذهب المتقدمين :

قال ابن قتيبة : « وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر او يبكي عند مشيد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي ، او يرحل على حمار او بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، او يرد على المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوافي ، او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس والورد ، لأن المتقدمين جروا على منابت الشيح والحنوة والمرارة » (٤٨) .

يضعنا هذا النص أمام مشكلة قراءته قراءة دقيقة حذرة ، تجنباً لما يمكن ان يهتدي اليه المتأمل في اعطافه من نظرات ومفاهيم لم يردها ابن قتيبة ، ولعل ابن قتيبة نفسه ظلم نفسه وظلم الباحثين بهذا الاسلوب الذي يلفه اللبس ويدعو الى تساؤلات تعبر عن حيرة الباحث واضطرابه ازاء النص ، اذ يوحي ظاهر كلامه انه لايرضى لمتأخري الشعراء ان يخرجوا عن مذهب المتقدمين .

وهذا هو مايراه الدكتور محمد مندور حين ذكر أن ابن قتيبة «يحظر على المحدثين الخروج على مذاهب القدماء » (٤٩) .

الا ان الدكتور حكمة علي الأوسي يخالف الدكتور مندور ويرى «أن قصد ابن قتيبة كان تضمين الفعل (يخرج) معنى (يصدر) . فيكون الشيء الذي يحظره

(٤٧) النقد المنهجي عند العرب – ص : ٣١
(٤٨) الشعر والشعراء : ص : ٨٢ – ٨٣
(٤٩) النقد المنهجي عند العرب : ص : ١٣ – ١٤

ابن قتيبة هو ان يصدر الشعراء في تأليفهم القصيدة عن مذهب المتقدمين مع محاولتهم تجديد الديباجة الشعرية باستخدام عناصر جديدة لمعالجة نفس الموضوع بدلا من عناصره القديمة ، لأن في هذا تقليداً للقوالب القديمة يقيد الشاعر ويقتل الاصالة » (٥٠) .

ويلتقي الدكتور حكمة الأوسي بالدكتور احسان عباس في حسن ظنه بابن قتيبة في انه لم يدع الى الزام المتأخرين ان ينهجوا نهج القدامى ، فيرى ان النص الذي اوردناه «ليس ثمة اوضح منه في الدلالة على تحريم التقليد الشكلي المضحك واحلال مواد الحضارة محل مواد البداوة في الشعر »(٥١).

صحيح ان ابن قتيبة لايدعو الى وقوف المحدثين عند مظاهر الحياة الجديدة جرياً على منهج القدامى ، وهذا حق لامرية فيه ، إلا انه يكون معيباً من جانب آخر ان يظل المحدث واقفاً عند المنزل الداثر والرسم العافي ، وملماً بمنابت الشيح والحنوة والعرارة ، ولعل هذا هو ماثقفه الدكتور الاوسي والدكتور احسان عباس من مدلول هذا النص .

ومع كل ذلك فان ثمة اعتراضاً سينهض في وجه ابن قتيبة انه لم يحسن التعبير عن هذا الغرض مما ادى الى ان يحمل كلامه في نظر باحثين آخرين على التناقض ، ذلك ان وجهاً من وجوه الاضطراب في رؤيته النقدية ان تأتي هذه الدعوة ناقضة لدعوته التي بهرنا بها في مستهل مقدمته من الغائه عنصري الزمان والمكان (القوم) والتعويل على الاجادة في النظم سبيلا الى المفاضلة . اذ قال : « ... ولانظرت الى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، .. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولاخص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجية في اوله ...» (٥٢)

---

(٥٠) مفاهيم في الادب والنقد : ص : ٩٨

(٥١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب (احسان عباس) : ص : ١١٣

(٥٢) الشعر والشعراء : ص : ٦٨ – ٦٩

فاذا كان الأمر على نحو ماذكر ، فما الذي يهدف اليه من الزام المتأخر ان يحذو حذو المتقدم في بناء قصيدته ويرسم له منهجاً يوجب عليه ان يسلك مسلك مقصد القصيد في الابتداء بالديار والدمن والاثار ، فيبكي ويشكو ، حتى يصل الى ممدوحه ؟ أليس في هذا القيد مايفند فكرته الاولى في الغناء الزمان والمكان معياراً للجودة وسبيلا الى الابداع الذاتي بمنأى عن التقليد ؟ يقول الدكتور شكري محمد عياد : « ان الوضع الشعري الذي صوره ابن قتيبة لايمثل نموذجاً واقعياً للقصيدة العربية ، بل هو هيكل نظري يستند جزئياً فحسب الى الواقع الشعري ، كما يستند في الوقت نفسه الى الربط الفعلي ، فمقصد القصيد الذي يتحدث عنه لايوجد الا في خياله » (٥٣) . ومن الملاحظ ان مقصد القصيد الذي يحدد هذه المنهجية المتسلسلة التي دعا ابن قتيبة الشعراء الى الاحتذاء بها في نظمهم انما هو من نازلة العمد ، اي الذين هم — كما وصفهم احمد محمد شاكر في تعليقه على النص — انهم اصحاب الأبنية الرفيعة الذين ينتقلون بأبنيتهم .... الى الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون الى منازلهم » (٥٤) ، وهم غير اهل المدر المستقرين في المباني كما اشار الى ذلك ابن قتيبة نفسه اذ قال :

« ... اذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ماعليه نازلة المدر ، لانتقالهم عن ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلأ .وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان » (٥٥) .

ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله :

« ... فكان المأمول ان يراعي اختلاف الظروف الحيوية ، ولايرتجى من هؤلاء مثل مافعل اولئك ، لافي انعدام الرابط النفسي ولكن في ضرورة

---

(٥٣) جماليات القصيدة التقليدية بين التنظير النقدي والخبرة الشعرية، مجلة فصول : العدد: ١١ – السنة ١٩٨٦ – ص : ٦١ .

(٥٤) و(٥٥) الشعر والشعراء : ص : ٨١ (الحاشية ثم المتن)

الالتزام بالأقسام التي ساروا عليها في القصيدة وحسب ،ولو انه الزم المحدثين او متأخري الشعراء بالتزام الرباط النفسي لكان لرأيه قيمة فنية يمكننا الاعتداد بها كبداية للتطور النفسي في القصيدة » (٥٦) .

٣ — معيار اختيار الشعر

قال ابن قتيبة: « وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنه قد يختار ويحفظ على اسباب » (٥٧) .

ثم يحصي — مع ضرب الأمثلة الشعرية — هذه المعايير ، وهي تارة معايير فنية في (الصورة) وهي الاصابة في التشبيه ،واخرى معايير عروضية في (الايقاع) وهي خفة الروي ، ومعيار ثالث هو الندرة ، وآخر هو الغرابة ، وكذلك نبل القائل . فضلا عن معيار الشرف في الشعر وصاحبه .

وتأتي خطورة هذا المذهب من وجهين :

١ — خروجه على منهج التقسيم الرباعي للفظ والمعنى من حيث الجودة والرداءة ، حيث جعل هذا التقسيم منطلقاً للقبول والرفض ، ثم جاء ليفجأنا بمعايير أخرى يتم في ضوئها اختيار الشعر ، وبصرف النظر عن ان تكون هذه المعايير سبيلا الى الاختيار والقبول ام لاتكون فان التقسيم الرباعي في مستهل المقدمة لايعد تقسيماً متكاملا ، ولا تأسيساً لعمل يصفه الدكتور شكري فيصل بأنه «يقوم على المعرفة بالأشياء والدلالة عليها وتسميتها الالفاظ والمعاني ، وعلى الاحساس بالأشياء وتقييمها وحصرها وتسميتها الجودة والرداءة » (٥٨) .

٢ — لم يوضح ابن قتيبة فيما اذا كان يتحدث عن عملية اختيار اخرى اعتادها الناس في زمانه في ضوء بواعث واسباب ام انه يريد بذلك منهج اختيار سليم يقوم على اسس ودعائم هي تلك التي احصاها ومثل

---

(٥٦) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي : ص : ٤٢٣

(٥٧) الشعر والشعراء : ص : ٩٠

(٥٨) نظرية مبكرة للشعر في النقد القديم :
مجلة المعرفة — السورية — العدد : ١٥١ — ايلول : ١٩٧٤ : ص : ١٦

لها بشواهد ، وأغلب الظن انه يعني اختياره هـو او اختيار الصفوة المعنيين الذين يجرون في ذلك على اسس ورؤى وضوابط ، لأننـا نعرف ان كل ماينسبه الى الاخرين من آراء من غير تعليق اونقاش انما هو اختياره .

ومما يدعونا الى القول إن هذه الرؤية في عملية الاختيار والحفظ هي رؤيته التي يؤمن بها ويستحسن معاييرها التي سردها لنا في هذا الباب انه يتحـدث عن عملية اختيار ذائعة عند الاخرين بدليل قوله : (وقد يختار ويحفظ) وقد جاء بصيغة البناء للمجهول اعماماً للعملية ، فضلا عن انه لم يوضح مايمكن ان يترتب على معايير الاختيار والحفظ من مآخذ بدليل انه لم يعلق بشـيء يوحي بمؤاخذه ام عدم رضا ، ايماناً منه بصحة هذه المعايير .

٣ – ان تفاوت مستويات النصوص فنياً ومعنوياً – في ضوء معيار التقسيم الرباعي – كأن يلزمه ان يقف منه موقف الناقد الذي يلتزم معياراً يتسم بالثبات والوضوح ، وضآلة تعليقاته – فضلا عن وجازتها – تنبـيء عن شيء من الحياد غير المسوغ لناقد مثله ، وكذلك الحـذر مـن الاتهام بأنه أخل بمعيار التقسيم الرباعي ، فاذا كان شاهد الاصابـة في التشبيه «٥٩» مما يسوغ درجه في باب ماجاد لفظه ومعناه فان ما اختير مثالا على خفة الروي يدخل في باب ما تأخر لفظه وتأخر معناه ، الم يكن من مقتضيات المنهج النقدي ان يعلق على الابيات التي استشهـد بها على خفة الروي ومطلعها (٦٠) :

يـــاتملك يـــاتملـــي صـــليني وذري عذلي

كما علق من قبل على بيتين للأعشى وهما : (٦١) :

وفـــوهـــاً كأقـــاحي غـــذاه دائـــم الهطل

(٥٩) الشعر والشعراء : ٩٠ .
(٦٠) الشعر والشعراء : ٩١ .
(٦١) الشعر والشعراء : ٧٥

كما شيب براح بارد من عسل النحل وذلك بقوله : « ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن » (٦٢) علماً بأن روي كل من الانموذجين واحد .

من ثمة يتبين لنا ان معايير التقويم في تحديد مستويات الاجادة في الشعر ليست ثابتة مستقرة ، بل انها تعاني التجزئة فيما بينها ، وتباعد بعضها عن بعض ، وهذا مما لا ينبغي ان يكون عند ناقد يحسن الدكتور شكري فيصل الظن به فيرى في مقدمته «اول نظرية نقدية متكاملة» .

٤ – التكلف والطبع :

قسم ابن قتيبة الشعراء إلى طائفتين : طائفة وصفها بالتكلف ، ووضع لمفهوم التكلف سمات ومعالم ، كما وضع للطبع سمات ومعالم .

وقديماً رأى الدارسون أن ثمة طائفة في مراحل الشعر المبكرة (في عصر صدر الاسلام) تميزت بخصائص نسبت إلى الصنعة ولم تنسب إلى التكلف لما في مفردة التكلف من افتقار إلى أيسر خصائص الشاعرية .

وقد حدد رؤيته للمتكلف بقوله : «انه الذي قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة» (٦٣) .

«ان التكلف بالمعنى الذي ذكره ابن قتيبة يختلط بفكرة الصنعة الفنية ولا يناقضها او يجافيها ، اذ ان التكلف – عنده – يعني اقتسار الكلام ووضعه في اماكن خاصة من الشعر ليحقق غرابة في الفكر او تحسيناً في اللفظ» (٦٤) .

وقد جارى ابن قتيبة الجاحظ في خلطه بين مفهومي الصنعة والتكلف .

في حين ان الجاحظ نفسه وصف التكلف بالفساد في معرض قوله :

«ومتى شاكل – ابقاك الله – ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقاً ، ولذلك القدر لفقاً ، وخرج عن سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع ...» (٦٥) .

---

(٦٢) الشعر والشعراء : ص : ٧٥

(٦٣) الشعر والشعراء : ص : ٨٤

(٦٤) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي : ص : ١٦٩

(٦٥) البيان والتبيين : ج٢ : ص : ٧ – ٨

ثم ان الجاحظ نفسه ايضاً حين عرض لمنهج زهير بن ابي سلمى ورجال مدرسته من اهل الصنعة عرض لسمات هذا المنهج فانتهى إلى القول : «ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً» (٦٦) .

فضلاً عن انه اشار إلى الغاية مما يجريه زهير واضرابه على القصيدة من تجويد الشعر واستواء القصيدة في الجودة ، وهذا كله بعيد عن التكلف الذي تفتقر فيه الشاعرية ، ولعل عدم رضا الجاحظ عن صنيع زهير على الرغم مما ابدى من تحفظ في كلامه على هذا النهج هو الذي جعله يستخدم مفردة (التكلف) مقرونة بالصنعة وفي سياق الكلام عليها .

ولعل ابن قتيبة قد مضى في هذا السبيل دون ان ينتبه إلى البعد السلبي في مفردة التكلف مما حمله على ان ينقد الفرزدق في ما ليس عنده بتكلف ، بل هو منهج في النسيج الشعري يطبع صاحبه بميسمه الخاص ، ولو كان منهجاً مختلاً لما تحدى الفرزدق معترضيه بقوله : علي أن اقول وعليكم ان تؤولوا. وعلى الرغم من ان الفرزدق كان راوية للحطيئة فان ذلك لا يلزم ان ينهج نهجه ، ولو فعل لما وقع في مؤاخذات النحاة عليه ، في الوقت الذي يورد فيه ابن قتيبة اخباراً عن سرعة بديهته في مواقف مفاجئة (٦٧) .

واحسب ان التكلف لا يصلح وصفاً للجيد من الشعر ، وقد استخدم ابن قتيبة هذا الوصف مع جيد الشعر ومحكمه اذ قال :

«والمتكلف من الشعر وان كان جيداً محكماً...» (٦٨) ثم انه وصف شعر الفرزدق بالجودة في ختام تحريه لمواطن التكلف عنده .

ان اقتران البيت بغير جاره ومضموماً إلى غير لفقه ظاهرة تسم احياناً شعر

---

(٦٦) البيان والتبيين : ج٢ : ص : ٩
(٦٧) الشعر والشعراء : ص : ٤٧٣ – ٤٧٤
(٦٨) الشعر والشعراء : ص : ٩٤

من سمّوا بالمطبوعين ، وربما هي اقرب إلى شعرهم اكثر من غيرهم ، لأنهم ينسابون في بناء قصائدهم على السجية وتدفق العطاء الشعري ، ولعل هذه السمة تزول في قصائد اهل الصنعة لكثرة ترداد نظرهم في اعطاف القصيدة تنقيحاً وتغييراً بحثاً عن مواطن الخلل والتماساً لما هو افضل وأجود .

صحيح ان ذلك قد يشكل عيباً في نسيج القصيدة اذ يفقدها الوحدة العضوية المطلوبة ، ولكنه امر بعيد عن ان يكون مظهراً من مظاهر التكلف بمعنى افتقاد الشاعرية .

ومما يجدر بالاشارة في هذا السياق ان ابن قتيبة في حكمه على شعر الخليل ابن احمد الفراهيدي قال :

«انه بيّن التكلف رديء الصنعة» (٦٩) مما يجعلنا امام دقة الوصف في اقتران التكلف برداءة الصنعة ، ولو أخذ بهذا المعيار في تقسيمه لطوائف الشعراء لكان اقرب إلى الدقة والاصابة وابعد عن تداخل المفاهيم واضطراب الأحكام .

ومن جهة اخرى اذا كانت كثرة الوشي ولطف المعاني من سمات قصائد المطبوعين ترى هل تفتقد هذه السمات في قصائد من سموا بأهل الصنعة والتكلف ، اذا صحّ ذلك فان بوسعنا — عندئذ — ان نطرح جانباً شعر زهير والحطيئة واضرابهما ، وهذا مما لا يستقيم بأي معيار ، في حين ان شعر التكلف يمكن ان يطرح ويلغى بكل الحسابات النقدية والذوقية .

وهذا مما لم يقف عنده ابن قتيبة في موازنته بين الطائفتين اللتين تحدث عنهما جرياً وراء معيار جاهز استعاره ووقع تحت تأثير مصطلحاته التي هي الاخرى تعاني الكثير من عدم الدقة ، مما افضى به إلى ان يحسن الظن بشعراء الارتجال الذين يواجهون الاختبار الآني ، اذ يفضي به حسن ظنه هذا إلى ان

---

(٦٩) الشعر والشعراء : ص : ٧٦

لا يتحرى عما يمكن ان يقعوا فيه من مآخذ جمة .

هذا ولا سبيل إلى انكار جهود ابن قتيبة في ايراده كثيراً من الرؤى النقدية السديدة في ما يتصل باستحسان الشاعر بعيداً عن معيار التقدم الزمني والتزام منهجية النظم والاعتداد بالبعد النفسي في النظم من حيث مراعاة الدواعي والتارات ، وكذلك حديثه عن عيوب الشعر العروضية والنحوية فضلاً عن دعوته إلى هجر وحشي الكلام وغريبه ومستكرهه ، واستعمال السهل من الالفاظ الذي يقرب الشعر إلى الناس ويجعله في متناول ايديهم ومناط تقديرهم.

•• ومن الله التـوفيـق ••

المصادر والمراجع

١ ـ **الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي** : سعيد عدنان، دار الرائد العربي ـ بيروت . ط١ ـ ١٩٨٧ .

٢ ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ـ طه احمد ابراهيم ـ دار الحكمة ـ دمشق .

٣ ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب ـ نقد الشعر** ـ د. احسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت .

٤ ـ **جماليات القصيدة الغنائية بين التنظير النقدي والخبرة الشعرية** ـ د. محمد شكري عياد . مجلة فصول (المصرية) العدد : ١١ ـ ١٩٨٦.

٥ ـ **الشعر والشعراء** ـ ابن قتيبة : تح : محمود محمد شاكر ـ القاهرة.

٦ ـ **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث** ـ د. محمد زكي العشماوي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .

٧ ـ **مفاهيم في الادب والنقد** ـ د. حكمة علي الأوسي ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة .

٨ ـ **من قضايا التراث العربي ـ الشعر والشاعر** . د. احمد فتحي عامر ـ طبعة الاسكندرية .

٩ ـ **نظرية مبكرة للشعر في النقد العربي القديم**. د. محمد شكري فيصل ـ مجلة المعرفة (السورية) العدد : ١٥١ ـ ايلول ـ ١٩٧٤ .

١٠ ـ **نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي** . ـ د. عبدالسلام عبدالحفيظ عبدالعال . دار الفكر العربي ـ القاهرة .

١١ ـ **النقد المنهجي عند العرب** ـ د. محمد مندور . دار نهضة مصر ـ القاهرة .